رسول الإسلام ص في المدينة / الجزء الثاني
للإمام الشيرازي ره

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

هذا هو الجزء الثاني من كتاب (رسول الإسلام ﷺ في المدينة المنورة) من سلسلة (قادة الإسلام)..

والمسؤول من الله سبحانه أن يوفقنا لأداء رسالتنا الإسلامية، وأن يهدي شبابنا لما فيه الخير والسعادة، وأن يتقبل منا ذلك بأحسن القبول، وهو المستعان.

١
بنو قريظة

غدر هؤلاء اليهود بالمسلمين، في أشد أحوالهم في حال حرب (الأحزاب).. ولو فرض أن غدرهم كان ينجح، لكن معناه إبادة المسلمين جميعاً..

ولذا نزل جبرئيل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء؟ انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لادقنهم دق البيضة على الصخرة».

فأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يصلي الناس العصر، إلاّ عند (بني قريظة) وأعطى اللواء بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعه المهاجرون..

وانهالت قطعات الجيش الإسلامي صوب (قريظة) حتى اكتملت ثلاثة آلاف، ولم يظلم ليل ذلك اليوم، إلاّ والمسلمون قد طوقوا الحصون.

وانهارت أعصاب اليهود رعباً وخوفاً، فها هم المسلمون الذين

انتصروا يوم أمس على (الأحزاب) بكثرة عددها.. ولذا استشاروا فيما بينهم حول الأمر؟

قال قائل منهم: أسلموا..

لكنهم أبوا ولم يرضخوا للإسلام

فقال: فانزلوا للحرب..

لكنهم خافوا بأس المسلمين، مع توفر السلاح والعتاد والمال والطعام والماء لديهم..

وأخيراً: أرسلوا إلى الرسول ﷺ يستأذنونه الخروج إلى (أذرعات) الشام..

لكن الرسول ﷺ أبى.

وبعد فكر واستشارة وتداول رأي، أرسلوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يفوض أمرهم إلى (سعد) فما شاء فعل فيهم.

فقبل الرسول ﷺ ذلك.

وقام (سعد) بالتحكيم، بعدما أخذوا العهود على الجانبين..

ثم أمر أن ينزل (بنو قريظة) عن حصونهم وأن يضعوا السلاح.. ثم حكم بقتل بعض رجالهم الذين تآمروا على سلامة الإسلام والمسلمين، جزاءً وفاقاً، ـ وأسلم الآخرون وهاجر بعضهم ـ،

وقسمت الغنائم بين المسلمين.

وباستئصال (قريظة) أمن المسلمون من الكتلة الثالثة من اليهود الذين كانوا من أخطر الأعداء، بعدما تخلصوا من الكتلة الأولى (نظير) والكتلة الثانية (القينقاع) قبل ذلك.

وكرّ الرسول ﷺ إلى المدينة، بعد سفرة طالت حوالي عشرين يوماً.

٢
بنو لحيان

قدم في السنة الرابعة من الهجرة جماعة إلى الرسول ﷺ، يطلبون منه أن يرسل إليهم بعض المبلغين، ليعلّموهم الدين والقرآن..

فأرسل الرسول ﷺ معهم جماعة، فغدروا بهم، وتجمع (بنو لحيان) عليهم وقتلوهم. وأسروا نفرين منهم إلى مكة. وهناك قتلوهما في قصة مذكورة في (سرية الرجيع) ..

وكان النبي ﷺ نوى منذ أخبر بخبر (المبلغين) المغدور بهم أن ينتقم لهم من (بني لحيان) جزاءً لغدرهم بالدعاة، وليركز الرعب

في نفوس القبائل، حتى يحترموا دعاة المسلمين.

فخرج ﷺ في جماعة من أصحابه، ينحو نحو الشام، ثم لما انتشر الخبر، بأن الرسول ﷺ عازم نحو الشام، عطف بالجيش نحو مكة مسرعاً، حتى قرب من منازل (بني لحيان) لكنهم قبل وصول الرسول ﷺ إليهم، علموا بالأمر، فتفرقوا ولاذوا بالفرار إلى رؤوس الجبال..

وتوجه الرسول ﷺ إلى مكة حتى وصل (عسفان) إرهاباً لقريش، فلم يتقدم منهم أحد، وعاد إلى (المدينة) بعد أن زرع الهيبة في نفوس القبائل وأهل مكة.

ذو قرد

أغار (عينية) وأربعون من ربعه على أطراف المدينة، فوجد هنا إبلا ترعى برعاية (أبي ذر الغفاري)، فقتلوا رجلاً، وأسّروا امرأة وأخذوا الإبل، وساقوها إلى نحو ماء يسمى (ذي قرد) على مرحلة من المدينة.

وحيث علم النبي ﷺ بالأمر، أمر المسلمين بالتهيؤ، فأعطى اللواء بيد (مقداد) وخرج ﷺ هو مع خمسمائة أو سبعمائة

يريدون العدو..

فأدرك الجيش أخريات (الناهبين) وأخذ (سلمة بن الأكوع) يرمي الناهبين بالنبل، قائلاً: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع، أي يوم هلاك اللئام.

وقتل (أبو قتادة) وهو من المسلمين (مسعدة) من أولئك.

وقد ظفر المسلمون ببعض الإبل، وتمكنوا من تخليص المرأة، وفرّ بقية الناهبين بما معهم من الإبل، فتركهم رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة.

وقد سبب هذه الحركة تقوية حمى المدينة، حتى لا يطمع فيها كل لص وناهب.

٣
الحديبية

(الحديبية) اسم قرية تبعد عن (مكة) مرحلة واحدة، سميت بها لأن بها (بئراً) تُسمى بهذا الإسم.

في السنة السادسة، من الهجرة، أراد الرسول ﷺ الحج ولم يكن الحج زيارة فقط، وإنما كان إثباتاً لاحترام الرسول ﷺ الكعبة، واظهاراً لقوة المسلمين، أمام كفار مكة، وإن فرض صُدّ،

كان ذلك سبباً لتأليب الناس على قريش: كيف قد صدّت عن المسجد الحرام؟ بالاضافة إلى أن القبائل المتجمعة في الحج ترى قوة المسلمين وشوكتهم مما ترغبهم في الإسلام، وترهبهم عن منازلة المسلمين.

سار النبي ﷺ في شهر ذي القعدة، مع ألف وأربعمائة من المسلمين، وفي بعض التواريخ: إنه أعلم القبائل المجاورة للمدينة الذين لم يدخلوا في الإسلام، ليحجوا معه، فكان بعض من صحب الرسول ﷺ من أولئك أيضاً..

ولما وصل الرسول ﷺ إلى (ذي الحليفة) قلّد الهدي وأشعره وجعلوا السيوف في الأغماد، دلالةً على أنهم لا يريدون القتال.

لكن (قريش) لما علمت بحركة الرسول ﷺ عزمت على صده بالقتال.. فأرسلت فرساناً لصد المسلمين، لكن الرسول ﷺ حرف الطريق، فلما وصل المشركون، بوغتوا بانحراف المسلمين إلى الطريق الفرعية، وأنهم وصلوا إلى قرب مكة، فعادت قوات المشركين، لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون.

وجاء إلى قريش من يخبرهم: أن الرسول ﷺ عازم على الزيارة، لا الحرب.. لكن (قريش) قالت: إن كان جاء لا يريد

قتالاً فوالله لا يدخل علينا عنوة أبداً، ولا تتحدث بذلك عنا العرب.

وتبدلت المفاوضات بين الرسول ﷺ وبين قريش، وانتشر عند المسلمين أن (عثمان) رسول النبي ﷺ إلى قريش قد قُتل، وحين بلغت هذا الشائعة مسامع النبي ﷺ قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم» واتكى على شجرة هناك، وأخذ البيعة ثانياً من أصحابه، ليقاتلوا معه إن اتفق القتال بكل قواهم، وسميت هذه البيعة: بـ(بيعة الرضوان) وأنزل الله سبحانه فيها:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [1].

٤
والصلح خير

وفي مدة تبادل الكلام بين الرسول ﷺ وقريش، ناوش جماعة من المشركين المسلمين، فهجموا عليهم، لكن المسلمين أسروهم، وأطلقهم الرسول ﷺ دليلاً على نيته السليمة.. وكان في من

[1] سورة الفتح: ١٨.

أوفده المشركون إلى الرسول ﷺ (عروة) فلما رجع إليهم قال لهم: (أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمداً ﷺ، إذا أمرهم استبدروا أمره، وإذا توضأ كانوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له..).

وأخيراً.. بعثت قريش إلى النبي ﷺ (سهيلاً).. وطال الكلام بين الرسول ﷺ وبينه، حتى انتهى الأمر إلى الصلح، بعدم دخول النبي ﷺ في هذا العام مكة..

وكان الرسول ﷺ يبتغي من رواء ذلك كسب المعركة، إذ لو دخلها عنوة ـ والحال هذه ـ كثرت القتلى، ولا تؤمن العواقب، إذ كيف يتمكن (ألف وأبعمائة) من مقاتلة أهل مكة بعددها وعُدّتها، وقد تهيئوا للقتال، بالإضافة إلى أن الغلبة لو كانت نصيب المسلمين لما أفادت حسن السمعة الذي توخاه الرسول ﷺ في جميع حركاته.

ودعا الرسول ﷺ الإمام المرتضى عليه السلام، ليكتب كتاب (الهدنة) فقال الرسول ﷺ للإمام عليه السلام:

«اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم».

قال سهيل: امسك.. لا أعرف (الرحمان الرحيم)، بل اكتب: (باسمك اللهم).

فقال رسول الله ﷺ للإمام: «اكتب: بسمك اللهم».

ثم قال الرسول ﷺ للإمام عليه السلام: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»،

قال سهيل: امسك، لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أمنعك عن الحج، ولكن اكتب: اسمك واسم أبيك.

فقبل الرسول ﷺ ..

وأخيراً.. عقدت الهدنة، التي كانت من بنودها: فتح المحال للرسول ﷺ لعقد محالفات مع القبائل، والسماح للمسلمين بزيارة البيت بعد عام، والبقاء بمكة ثلاثة أيام..

فحل المسلمون ـ تبعاً للرسول ﷺ ـ إحرامهم، ونحروا البُدن التي ساقوها، ورجعوا إلى (المدينة) بعدما كسبوا اعتراف قريش بأن المسلمين أكفؤهم، وفتحت المجالات لنشر المسلمين دعوتهم بأمان، وأخذوا عهد قريش بزيارتهم (مكة) بعد عام.

٥
خيبر

كانت لخيبر سبعة حصون، هي: (ناعم، قموص، كتيبة، شق، نطاة، وطيح، سلام) وكانت هذه الحصون في المنطقة الشمالية من المدينة، وهؤلاء كانوا يهوداً من أشد عداء الإسلام، وقد وجّهوا جميع الجهود للقضاء على الإسلام، بعد وقائع (قينقاع) و(نظير) و(قريظة) فاستمروا على تحريض القبائل، وجمع الأحلاف ضد الإسلام، وقذف المسلمين بالتُهم، وإيواء أعداء المسلمين، والغدر بالمسلمين، واستمالوا (غطفان) نحوهم.. وكان ذلك كله مما يبرر مهاجمة المسلمين لهم، وكان عدد اليهود داخل الحصون أربعة عشر ألف.

فلما رجع الرسول ﷺ من (الحديبية) عزم على استئصال شأفتهم، فجهز جيشاً عدته ألف ومائتا رجل، أو أكثر، بقيادة الرسول ﷺ وتوجه الجيش إلى (ديار غطفان) وكانت (غطفان) قد خرجت لنصرة اليهود، فلما رأت الجيش يقصدها رجعت إلى

بلادها، ونجحت خطة الرسول ﷺ في عزل (خيبر) عن مساعدة قوات (غطفان).. ثم أرسل الرسول ﷺ جماعة إلى (غطفان) وتوجه هو مع الجيش إلى (خيبر).. ولم يكن قتال اليهود سهلاً، لحصونهم القوية، وعتادهم الكثيرة، وشجعانهم الأبطال، والتفاف النخيل بحصونهم.

فقطع المسلمون قسماً من نخيلهم، ليسهل الحرب، ثم ابتدؤوا بهجوم عنيف على حصونهم، ليرهبوهم ويضعفوا معنوياتهم، مما سبب قتل قائدهم (سلام) وجرح خمسين من المسلمين، واستمات اليهود في المقاتلة لما علموا أن القضاء عليهم معناه القضاء على اليهود في (الجزيرة العربية).

وفتح المسلمون قسماً من القلاع، مما ألجؤوا اليهود إلى الانسحاب إلى سائر قلاعها، وكان المسلمون قد ركزوا هجومهم الرئيسي على حصن (ناعم) الذي كان فيه قوت اليهود وعلف دوابهم، وبقيت قوات المسلمين الثانوية تشاغل الحصون الأخرى.. وكان في ذلك فائدتان، الأولى قطع التعاون بين القلاع، وإخفاء اتجاه الهجوم الحقيقي، حتى فتحوا (ناعم)، وكان ذلك فتحاً

مزدوجاً إذ خرج المسلمون من المضايقة الغذائية، كما أن اليهود انقطع أملهم الكبير في الإمكان من الاستمرار اعتماداً على غذائهم.

٦
قلعة قموص

بقيت قلعة (قموص)[١] وهي من أشد القلاع استحكاماً، وأكثرها رجالاً وعتاداً، وقد تجمهرت فيها اليهود الذين فروا من سائر قلاع (خيبر)، وكان لابد للمسلمين من فتحها، وقد أصيب الرسول ﷺ في ذلك الحين بوجع شديد في شقيقته، ولذا لم يتمكن من المبارزة بنفسه..

فأخذ (أبو بكر) يوماً، الراية وبارز لكنه رجع ليلاً، ولم يفعل شيئاً..

وفي اليوم الثاني أخذ (عمر) الراية، وبارز وعاد ليلاً، كماضيه، بجبّن المسلمين، وساء الرسول ﷺ ذلك..

وحين ذاك قال الرسول ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه، كرار غير فرار»..

---

[١] وهي من قلاع خيبر.

فطالت الأعناق لهذه المفخرة، وكان علي عليه السلام في ذك الحين أرمد العين، فلم يظن أحد أنه عليه السلام ينال هذا النصيب..

لكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحضره غداً، وأشفى عينيه بماء فمه الإعجازي، وأعطى الراية بيده.

فبرز الإمام عليه السلام وحاصر الحصن حصاراً شديداً..

فخرج (مرحب) وهو البطل المعروف لليهود الذي تمكن في اليومين السابقين من رد (أبي بكر) و(عمر) وأنشأ يقول:

قد علمت خيبر: اني مرحب

شاكى السلاح بطل مجـــرب

فأجابه الإمام عليه السلام:

«أنا الذي سمتني أمي (حيدرة)

ضرغام آجام، وليث قســورة»

فتقاتلا، فابتدره الإمام عليه السلام بضربة أرداه إلى الأرض صريعاً، ثم قتل (عنترة) و(مرة) و(ياسر) وبقتل هؤلاء انهزم اليهود، فأسرع الإمام عليه السلام فقلع (الباب) وكان باباً عظيماً حتى أنه يقول فيه (ابن أبي الحديد):

«يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربع»

وبذلك انتهى الفتح، فأسر المسلمون اليهود، وفرّ جماعة منهم، واستولوا على حصونهم.. وبهذا الفتح، قضى الإسلام على القوة العسكرية الكبيرة لليهود، مما لم يبق لهم كيان يذكر.

ثم ان الرسول ﷺ صالح بعض اليهود في خيبر، أن يبقوا فيها، ويزرعوا لقاء نصف ثمارها، حيث إن المسلمين لم يكونوا يستغنون عنهم، لزراعتهم.

٧

قدوم جعفر عليه السلام

في يوم فتح (خيبر) اتفق أن جاء (جعفر بن أبي طالب عليه السلام) من (الحبشة) بعدما هاجر إليها هو وجماعة آخرين فراراً من (مكة) حيث كان الرسول ﷺ فيها، وكثر إيذاء المشركين لهم.. وقد طال مكثهم هناك أكثر من عشر سنوات..

ففرح الرسول ﷺ بمقدم (جعفر) فرحاً كبيراً، وقال ﷺ: «ما أدري بأيهما أنا أكثر فرحاً: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

وهنا علّم الرسول ﷺ الصلاة المعروفة بـ (صلاة جعفر).

وبقيت، بعد فتح خيبر لليهود، قوات ضئيلة لا أهمية لها، ولذا عزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على إخضاعها، لئلا يحدث في المستقبل شيء من قبلهم.

فدك الزهراء عليها السلام

فعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأرسله إلى (فدك) وهي بساتين لليهود، كانت ثمارها كثيرة، تعادل (مائة وعشرين ألف دينار ذهباً) في السنة ـ على بعض الروايات ـ

فجاءهم الإمام عليه السلام يريد منهم الإسلام أو الاستسلام، لكنهم صالحوا الإمام عليه السلام بنفس شروط (خيبر).. فصارت (فدك) للرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. وأعطاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام بأمر من الله تعالى، حيث نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [1].

فسأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من ذا القربى؟ وما حقه»؟

---

[1] سورة الإسراء: ٢٦.

فقال جبرئيل: ذو القربى فاطمة عليها السلام .. وحقه فدك».

فأعطاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إياها...

وقد كان في هذه العطية حكمة كبرى، حيث إن فاطمة عليها السلام لم تكن تصرف شيئاً من أموالها إلا في سبيل الله تعالى، فكان هذا العطاء معناه التسبيب إلى الالتفاف حول أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر الأحكام والإسلام، وتكون النتيجة: أن المال يصرف في المسلمين، بصالح نشر الأحكام وتقوية الإسلام.

و(فدك) هذه هي التي غُصبت عن فاطمة عليها السلام بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. ومن عجب أمر (فدك) أنها كانت تغصب وترد على طول الخط:

غصبها (أبو بكر)..

وردها (عمر)..

وأقطعها (عثمان) لمروان..

وثلّثها (معاوية) لمروان، وعمرو بن عثمان، ويزيد بن معاوية.

وردّها (عمر بن عبد العزيز).

وغصبها (يزيد بن عبد الملك).

وردّها (السفاح).

وغصبها (المنصور).
وردّها (المهدي).
وغصبها (موسى بن المهدي).
وردّها (المأمون).
وغصبها (المتوكل). وهكذا..

٨
وادي القرى

وكان في هذا الوادي يهود يخشى منهم من المشاغبة، وليست لهم إلاّ قوات ضئيلة، فعطف الرسول ﷺ في طريقه إليهم، ليصالحهم، بما يؤمن شرهم في المستقبل، لكنهم استعدوا للقتال، ونشبت معركة طفيفة انتهت بقبول اليهود للصلح، فصالحهم الرسول ﷺ على نحو صلح (خيبر).

تيماء

وكان فيها يهود قليلون، صالحوا الرسول ﷺ على نحو صلح (خيبر).

وإلى هنا.. انتهت مهمة الرسول ﷺ بالنسبة إلى (المدينة) وأطرافها، ولم يبق أمام الرسول ﷺ إلاّ (قريش) المتحصنة في مكة وحواليها، حتى تنتهي الحروب الداخلية، ويكون الأمر كله لله.

عمرة القضاء

قد حان الوقت، لأن يقضي الرسول ﷺ حجته السابقة، التي منع عنها المشركون في قصة (صلح الحديبية) ولذا أمر الرسول ﷺ المسلمين: أن من يشاء أن يقضي معه العمرة، فليصاحب الرسول، وكان هذا من قبل وجوب الحج.

فاجتمع حول الرسول ﷺ أولئك الذين صُدّوا عن الحج في العام الماضي، وبعض من غيرهم..

وركب الرسول ﷺ ناقته (القصوى) والأصحاب حوله ماشياً وراكباً، وخرجوا في شهر ذي القعدة، يسوقون معهم سبعين بعيراً

للهدي، وأخذوا معهم الأسلحة غير بارزة، حتى إذا أرادت (قريش) أن تنقض العهد، لم يكونوا عزلاً، ولبوا بالعمرة من (ثنية جحون).

فدخلوا مكة، ولما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال: اكشفوا عن المناكب، واسعوا في الطواف، ليرى المشركون جلدهم وقوتهم، لئلا يستهينوا بهم.

واجتمع أهل مكة من الرجال والنساء والصبيان. يحوطون بالرسول ﷺ والمسلمين، لينظروا إليهم وهم يهرعون حول البيت، والرسول ﷺ راكب على ناقته، وعليها يطوف، إظهاراً لعزة الإسلام وشوكة رسوله.

وكان عبد الله بن رواحة، آخذاً بزمام ناقة الرسول ﷺ يرتجز بين يديه، وهو متوشح بالسيف:

خلوا بني الكفار عن سبيله

قد أنزل الرحمن في تنزيله

الأبيات.

فبقوا في مكة ثلاثة أيام وذبحوا الهدي ورجعوا.

٩
نتائج الهدنة

قد مر بنا أن الرسول ﷺ هادن (قريش) في (صلح الحديبية) ورجع إلى المدينة.. وقد أنتج هذا الصلح فوائد مهمة، عبّدت طريق، لدك آخر معاقل قريش وهي (مكة) التي جعلوها قاعدة انطلاقهم، لحرب الرسول ﷺ والمسلمين.

١: فقد تمكن الرسول ﷺ في فترة الهدنة، من إخضاع قوى اليهود المتجمعة أطراف (المدينة) كالخيبر وغيرها، وبذلك تخلص عدو كبير لا يؤمن جانبه، ولا يجعل للاستقرار سبيلاً.

٢: كما أن نوايا الرسول ﷺ السليمة في قصة (الحديبية) أثرت تأثيراً كبيراً في نفوس القبائل وقريش، حتى أن ألد أعداء الإسلام جعل يتردد في الإسلام، وقد انجلت العقدة النفسية التي كانت عنده من الرسول ﷺ ورسالته.

٣: والقضاء على اليهود الذين كانوا معروفين لدى القبائل وقريش بالنظام والشجاعة والمال والدين، سبب انهيار قوى قريش

المعنوية، فلم يطمئنوا بإمكانهم الصمود أمام الدين الجديد.

٤: وعمرة القضاء، بتلك الكيفية الرائعة، جعلت القلوب تهفو نحو (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام، حتى إن عدو الإسلام اللدود (خالد بن الوليد) لما رأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في (مكة) يطوفون بذلك المظهر النشيط، وقف على جمع من قريش، قائلاً:

(لقد استبان لكل ذي عقل، أن محمداً ليس بساحر، ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق على كل ذي لب أن يتبعه) مما آثار حفيظة أبي سفيان، وتخاشن له في الكلام، كل ذلك صار من أسباب أن ينتشر الإسلام بصورة سريعة في القبائل، وحتى في نفس بيوت (مكة) مما فتح للفتح سبيلاً واسعاً.

٥: وتفرقت كلمة (قريش) وحلفائها، مما ضعّفهم عن المقاومة، بعدما كانوا كلمة واحدة.

٦: وبالعكس قويت شوكة المسلمين، وانضم إلى صفوفهم مسلمون جدد، كما رجع من (الحبشة) جعفر عليه السلام وأصحابه، من الدعاة الشجعان، الذين يحتاج إليهم الفتح.

١٠
فتح مكة

لم يبق أمام المسلمين، إلاّ فتح (مكة) مركز الجزيرة، وقبلتهم، وموطن المؤامرات على الإسلام والمسلمين..

لكن أنى لهم بذلك.. وصلح الحديبية نافذ المفعول..

بالإضافة إلى أن النبي ﷺ لم يكن يبدأ بالقتال، وإنما يكون مدافعاً دائماً، وجازياً على الاعتداء لو كان في الجزاء مصلحة الإسلام والمسلمين..

لكن (قريش) نقضت الصلح، وأخلت بشروطه، مما فتح المجال أمام الرسول ﷺ للفتح.

وكان من قصة النقض:

أنه كان بين (بكر) و(خزاعة) دماء وترات في الجاهلية، فلما كان صلح الحديبية، دخلت (خزاعة) في حلف رسول الله ﷺ ودخلت (بكر) في عهد قريش، وهدأت الحالة بين القبيلتين، ثم حدث أن رجلاً من قبيلة (بكر) وقف ذات يوم يهجو رسول الله ﷺ وسمعه

رجل من (خزاعة) فنهاه عن عمله لكنه لم ينته، وانجر الأمر بالتضارب بينهما.. أثار هذا الحادث الأحقاد بين القبيلتين. واستعدت (بكر) للانتقام من (خزاعة) وأعانتها على ذلك قريش.

وفي ذات ليلة كانت (خزاعة) على ماء لها يسمى (الوثير) فباغتها رجال بكر ومن والتها من قريش، فلجأت (خزاعة) إلى (الحرم) لتحتمي به، لكن بكراً وقريشاً، لم يحفظوا للحرم حرمة، وعاقبتها حتى قتلت من (خزاعة) عشرين رجلاً.

وحين ذاك استنصرت (خزاعة) رسول الله ﷺ وذهبت رجال منهم إلى (المدينة) يخبرون النبي ﷺ بما كان من قصة (بكر) ومناصرة قريش لها.

غضب الرسول ﷺ لما سمع الخبر، وقال: «لا نُصرت إن لم أنصر خزاعة» ووعد رسول الله ﷺ (خزاعة) بالنصر.

وحينئذ رأى الرسول ﷺ أن المجال مفتوح لفتح (مكة) ودك حصون (قريش) التي طالما تعدت على الإسلام وعلى الرسول ﷺ.

١١
إيفاد أبي سفيان

بعد (مذبحة وتير) أدركت (قريش) خطأها، وأنها فتحت الباب أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للفتح، فأوفدت (أبا سفيان) ليشد العقد، ويزيد في المدة..

وجاء (أبو سفيان) إلى (المدينة) وذهب إلى ابنته (أم حبيبة) زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكنها طردته.

ثم طاف بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام .. وأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، لمهمته، فلم يجد شيئاً.

وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. فلم يلق جواباً، ورجع خائباً يجر أذيال الصدود.

واستعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أصحابه بالتجهز، ولم يخبرهم بالأمر بادئ ذي بدء، ولما علموا بالخبر أمرهم بالكتمان الشديد، لئلا يعلم أهل مكة، فيستعدوا للحرب، فتقع القتلى، وما لا يحسن عاقبته..

لكن صحابياً اسمه (حاطب) كتب إلى مكة كتاباً يخبرهم بالأمر.. ونزل جبرئيل على الرسول ﷺ يخبره بكتاب (حاطب) فأرسل الرسول ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والزبير، لقبض الكتاب من الرسول، وكانت (امرأة).. وأخيراً ظفرا بالكتاب، وأتيا به إلى الرسول ﷺ، وزجر الرسول ﷺ (حاطباً) لكنه أخيراً عفى عنه وتجاوز عن سيئته.

تحركت قوات المسلمين بقيادة الرسول ﷺ من (المدينة) في شهر رمضان المبارك، في السنة الثامنة من الهجرة، وكان عدد الجيش (عشرة آلاف) مؤلفة من المهاجرين والأنصار و(سلم) و(مزينة) و(غطفان) وكثير من القبائل الاخر، في عدد وعدة لم تعرفها الجزيرة العربية من قبل.

وكلما مرت الجيوش نحو الهدف ازدادت بانضمام مسلمي القبائل التي كانت على طرفي الطريق.

كانت قريش علمت بأن الرسول ﷺ في حل من مهاجمتها، لما نقضت العهد، لكنها لم تكن تعلم بوقت ذلك، هذا إلى جنب شدة كتمان المسلمين الأمر، أوجب اختفاء خبر حركة الرسول ﷺ على قريش.

وفي ذات ليلة ترى قريش نيران كثيرة تملأ الصحراء ..

فما هي يا ترى؟

أسرع (أبو سفيان) و(بديل) و(حكيم) ليعرفوا مصدر النيران، ونواياها..

فيقول (بديل): هذه نيران خزاعة.

لكن (أبا سفيان) يرد عليه بعنف: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

١٢
عباس عم النبي ﷺ

(عباس) عم النبي ﷺ خرج من جيش المسلمين، راكباً بغلة الرسول ﷺ ليخبر قريشاً، بالجيش الضخم الذي جاء للفتح، وكأنه قصد من ذلك، حقن الدماء، إذ مثل هذا البناء الفجائي، يحطم من معنويات (قريش) ويلجئها للتسليم..

وكان النبي ﷺ قد عسكر بـ (مر الظهران) على أربعة فراسخ من مكة، فسمع عباس، في أثناء سيره قرب (أراك) صوت (أبي

سفيان) و(بديل) فتعارفا.

فقال (أبو سفيان): ما هذه النيران يا أبا الفضل؟

فقال (العباس): ويلك إن هذا رسول الله ﷺ بجيشه مقبل إلى مكة.

فسقط في يد أبي سفيان وقال: ما ترى أن أصنع؟

قال العباس: تركب خلفي، فأصير بك إلى رسول الله ﷺ فأخذ لك الأمان..

قال أبو سفيان: وتراه يؤمن؟

قال العباس: نعم، فانه ﷺ إذا سألته شيئاً لم يردني.

فركب أبو سفيان، ردف العباس، وانصرف أصحاب أبي سفيان إلى مكة، حتى اقبلا إلى الرسول ﷺ فقال العباس: يا رسول الله ﷺ هذا أبو سفيان صار معي إليك أفتؤ منه بسببي.

فقال الرسول ﷺ: «أسلم تسلم يا أبا سفيان؟»

فقال أبو سفيان: يا أبا القاسم ما أكرمك وأحلمك؟

قال الرسول ﷺ ثانياً: «أسلم تسلم» ..

فأعاد أبو سفيان ثانياً: ما أكرمك وأحلمك.

فأعاد الرسول ﷺ كلامه..

وأعاد أبو سفيان كلامه..

فوكزه العباس قائلاً: إن قالها الرابعة ولم تسلم قتلك.

لكن الرسول ﷺ أعرض عنهما، وقال للعباس: خذه يا عم إلى خيمتك..

وكانت قريبة من محل الرسول ﷺ فلما جلس أبو سفيان في الخيمة، ندم على مجيئه مع العباس، وقال في نفسه: من فعل بنفسه مثل ما فعلت؟ أنا جئت فأعطيت بيدي، ولو كنت انصرفت إلى مكة وجمعت الأحابيش وغيرهم فلعلي كنت أهزمهم!

فناداه رسول الله ﷺ من خيمته، فقال ﷺ: إذاً كان الله يخزيك.

وأخيراً.. جاء العباس بأبي سفيان، إلى الرسول ﷺ حتى يسلم، فلما أن دخل قال له النبي ﷺ: «ألم يأن لك أن تسلم»؟

فقال له العباس: قل وإلاّ قُتلت!

فقال أبو سفيان ـ بكل كراهية ـ: (أشهد أن إلا الله، وأنك رسول الله..).

فتبسم الرسول ﷺ ثم عاد به العباس إلى الخيمة.

١٣
العفو عن أبي سفيان

أتى العباس إلى الرسول ﷺ قائلاً: (يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الشرف، فشرفه)!

قال الرسول ﷺ: «إن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ثم أمر الرسول ﷺ عباساً أن يأخذ أبا سفيان إلى رأس العقبة، ليرى جنود الإسلام الضخمة، حتى لا تحدثه نفسه بالقتال أبداً.

فأقعده العباس هناك، ولما رأى أبو سفيان الجيش الضخم المنظم، ورأى كيفية طاعتهم للرسول ﷺ قال للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً!!

قال له العباس: ويلك يا أبا سفيان، إنه نبوة..

فقال أبو سفيان ـ كارهاً ـ: نعم..

ثم قال الرسول ﷺ لأبي سفيان: «ادخل مكة، فأعلمهم بالأمان»، وقد كان الرسول ﷺ أعطى الأمان لمن دخل المسجد، ولمن ألقى سلاحه، ولمن دخل داره، ولمن دخل دار أبي سفيان..

فجاء أبو سفيان إلى مكة وجعل يصيح بأمر الرسول ﷺ .. فلما رأته (هند) زوجته امتلأت غضباً، وأخذت بلحيته ورأسه، وصاحت: اقتلوا هذا الشيخ الضال، فقد خرف.

أمر الرسول ﷺ بأن لا يقاتلوا أهل مكة إلاّ إذا اضطروا، ووزع ﷺ جيشه إلى أربع قيادات، وأخذت قطعات الجيش تدخل مكة كالسيل الجارف..

وجال (سعد بن عبادة) واللواء بيده، قائلاً: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى حرمة)!.

فأمر الرسول ﷺ الإمام عليه السلام بأن يأخذ اللواء منه، وينادي: (اليوم يوم المرحمة، اليوم تحفظ حرمة).

ولم يلق المسلمون مقاومة من أهل مكة، إلاّ أن بعض متطرفي قريش تعرضوا لبعض الجيش مما سبب بعض القتلى، لكنهم سرعان ما انهزموا أمام الجيش الإسلامي.

وتم الفتح..

واستسلم أهل المدينة المقدسة (مكة) للرسول ﷺ..

وحين دخل الرسول ﷺ شرع يقرأ سورة الفتح، حتى دخل البيت، وطاف..

ثم توجه ﷺ إلى أهل مكة، قائلاً:

«يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟»

قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم.

قال الرسول ﷺ: «فإني أقول كما قال يوسف لأخوته: لاتثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم جعل الرسول ﷺ يحطم الأصنام التي علقوها أطراف الكعبة، ويقرأ:

﴿قُلْ جَآءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [1]

١٤
تطهير الكعبة من الأوثان

طهر الرسول ﷺ بيت الله من الوثان، في أول يوم فتح مكة، ونفذ أمر الله تعالى في تطهير البيت، الذي دعا إليه الرسول ﷺ منذ عشرين عاماً، وقضى على عاصمة الوثنية، في الجزيرة العربية،

---

[1] سورة الإسراء: ٨١.

وقد شاهدت قريش، آمالها المنهارة، فهذا الرسول ﷺ يكون فاتحاً، وهذا الدين الجديد يسيطر على الربوع وهذه الأصنام، التي طالما عبدتها، وكان آباؤهم يعبدونها، تتهاوى فوق الأرض.

وكان على أعلى الكعبة بعض الأصنام مما لم يمكن الرسول ﷺ أن يسقطها بمخصرته، فأمر الرسول ﷺ الإمام علي عليه السلام أن يعلو على كتفه، وينكسها.

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام كتف الرسول ﷺ ونكس تلك الأصنام وحطمها..

ثم قفز من ميزاب الكعبة إلى الأرض، احتراماً وحياءً، وتبسم، وحين سأله الرسول ﷺ عن سبب تبسمه، أجاب الإمام عليه السلام: بانه ألقى بنفسه من هذا العلو ولم ير أذى..

قال الرسول ﷺ: «كيف وقد أصعدك محمد ﷺ وأنزلك جبرئيل عليه السلام»؟

وأمر الرسول ﷺ (بلالاً): الذي طالما آذاه المشركون وكووا جلده بالرمضاء والشمس والحجارة، أن يصعد سطح الكعبة ويؤذّن، ففعل ذلك.. وخرق صوته أجواء فضاء مكة، مما أعلن أن

الإسلام قد سيطر على الآفاق، وأن الشرك ولى هارباً إلى غير رجعة..

وقد اصطدم قريش من (الأذان) بما صعقت به أرواحهم، وعلقوا عليه بتعليقاتهم المشينة، لكن جبرئيل عليه السلام نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بكلماتهم..

فأحضرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحكى لهم كلماتهم، فنكسوا خجلاً.

ثم أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (البيعة) من الرجال، وبعد أن تمت البيعة منهم.. أحضر قدحاً من الماء وأدخل يده الكريمة فيه ودعى النساء إلى البيعة، وكانت بيعتهن أن يدخلن أيديهن في القدح، إذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليصافح النساء، فإنه محرم في الإسلام.

وأقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة أياماً وأرسل بعض القطعات من الجيش أطراف (مكة) للدعوة إلى الإسلام وتحطيم الأصنام، التي كانت منتشرة هنا وهناك.

وقد استراح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدما أنجز ما أهمه من فتح (مكة).

١٥
غزوة حنين

من أعجب حروب الإسلام، حرب (حنين) التي نشبت بعد قوة المسلمين وخضوع (الجزيرة العربية) للرسول ﷺ بمن كان ذا نفوذ فيها، من يهود ومشركين..

وقد كانت هذه الغزوات صعباً جداً، وفيها أنزل الله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُم مّدْبِرِينَ﴾[١].

لقد سمعت قبائل العرب، بفتح مكة، ودخول الناس في دين الإسلام، فانتشر الإسلام بين جميع القبائل، لكن قبيلتي (هوازن) و(ثقيف) وبعض من والاهما، لما سمعوا بالأمر، امتعضوا وقرروا أن يهاجموا الرسول ﷺ وأخذوا يتحشدون في منطقة (الطائف)

---

[١] سورة التوبة: ٢٥.

وجعلت هذه القبائل تراسل قبائل أخرى، لتشد أزرها في هذه الحركة، فراسلت قبيلة (سعد) لكنها أجابت بأن محمداً ﷺ رضيعها (لأنه ﷺ ارتضع من الحليمة السعدية) فلا يدخل معه في حرب.

وأخيراً نجحت خطة المتآمرين، وجمعت حولها ثلاثين ألف رجل، لمحاربة الرسول ﷺ وقد تخلفت بعض أفخاذ هذه القبائل عن محاربة الرسول ﷺ، لأنها أسلمت أو عقلت وعلمت بأنها لاتتمكن من مقاتلة المسلمين، فقد تخلف (كعب) و(كلاب) أشجع هذه القبائل، كما تخلف آخرون.

وحيث كان الرسول ﷺ بمكة بعد الفتح، سمع بأخبار تحشد هؤلاء، وأنهم عازمون على غزو المسلمين.. فأرسل (عبد الله الأسلمي) وأمره بالنظر في أمر المشركين المتآمرين، ورجع (عبد الله) مخبراً الرسول ﷺ بأن قبيلتي (هوازن) و(ثقيف) ومن والاهما، تجمعت في (وادي أوطاس) وأنها تريد الهجوم.

فقرر الرسول ﷺ أن يخرج إليهم، وبدأ بتجهيز الجيش فتجمع المسلمون (اثنى عشر ألف).. عشرة آلاف ممن صاحب الرسول ﷺ إلى فتح مكة، وألفان من أهل مكة ممن اعتنق إسلامه.

وقد استعار الرسول ﷺ من (صفوان) دروعاً وأسلحة لتزويد

الجيش بها.

١٦
خطة المشركين

اختلفت زعماء القبائل المتحشدة، في أخذ نسائهم معهم وعدم الأخذ، وكان من رأي (دريد بن صمة): أن لا يأخذوا النساء والذراري، إلى حرب لا يعرفون غايتها، وكان هذا الرجل فارساً مجرباً حكيماً.

وكان من رأي (مالك بن عوف) وهو قائد شاب عمره ثلاثون سنة: أن يأخذوهن معهم، حتى يستميت المقاتلة في الحرب، لأنهم يعلمون أن نساءهم وذراريهم نهب للمسلمين، إن انسحبوا عن الميدان.

قال (دريد): هل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت الدائرة لك، لم ينفعك إلاّ رجل برمحه وسيفه، وإن كانت عليك، فضحت في أهلك ومالك.

لكن (مالكاً) أخذه الغرور، ونخوة الشباب، فأجاب قائلاً: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر علمك، والله لتطيعني يا معشر

هوازن، أو لأتكأن على هذا السيف، حتى يخرج من ظهري.

وأخيراً أخذوا برأي (مالك).

وخرج المشركون، إلى وادي (حنين).. ووضع مالك الخطة: بأن يحتل الجيش قمم وادي حنين، ومضيق الوادي، فإذا دخلت جيوش الإسلام في الوادي باغتهم المشركون، بالرمي عليهم بالنبال من كل جانب من الأعلى والأسفل، حتى يلتجئ المسلمون بالانسحاب، فيطاردوهم ويكثروا فيهم القتل والدمار.

كانت هذه الخطة ناجحة جداً، لولا أن المشركين غفلوا عن عاقبة الأمر، فإنهم لم يجعلوا لأنفسهم ملجئاً وثيقاً يلتجئون إليه، لدى انقلاب الرأي عليهم، كما إنهم لم يفكروا في أن هؤلاء الاخلاط لا يمكنهم الصمود أمام جيش صامد منظم.

وعلى أي حال.. فقد أخذ المشركون أماكنهم في قمم الجبال وبطون الوادي، وكان وادياً منحدراً كلما زاد الجيش إيغالاً فيه، زاد انحداره.

إن المشركين أخذوا أماكنهم، وهيئوا أمورهم، ولم يبق شيء سوى أنهم ينتظرون قدوم جيوش الإسلام ليهاجموها، وينقضوا عليها، ولم يزالوا يفكرون في وأد الإسلام وقتل رسوله ﷺ،

وإرجاع (مكة) والقبائل المسلمة إلى الشرك.

١٧
حاكم مكة الجديد

نصب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (أُسيداً) حاكماً على مكة، كما نصب (معاذاً) لتعليم أهل مكة الدين والإسلام، وخرج من مكة يقدمه جيوش المسلمين، كل قبيلة بقائدها ولوائها، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كتيبة المهاجرين والأنصار ولواؤها بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونظر (أبو بكر) إلى الجيش الذي كأنه السيل، فقال: (لن نُغلب اليوم من مكة).

وصل الجيش فجراً إلى وادي (حنين) ودخلوا الوادي، عفواً، بلا تفكير، وكان في مقدمة الجيش ـ كما يقول بعض الرواة ـ خالد بن الوليد فلما وصل إلى بطن الوادي وإذا هم بانهمار النبل كالمطر، وإذ كان الظلام سائداً، لم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمي. ليقابلوهم بالمثل.. وإذا بخالد وكتيبته ينهزمون أمام النبل، وبهزيمة المقدمة، انسحبت الجيوش الإسلامية، وانجرفت أمام انسحاب المقدمة.

وقام المشركون لمطاردة المسلمين، فشدوا على المسلمين، شد رجل واحد، وانتشر الهلع بين المسلمين وانفرطت الصفوف وتعقدت الأمور، فلا يعلم المسلم من المشرك، وركبت الابل بعضها فوق بعض، مولية بأصحابها، وفر أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أمثالهم.

وارتد عن الإسلام كثير من أهل مكة، الذين أسلموا يوم الفتح، وأراد (شيبة بن عثمان بن طلحة) الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، أن يغتنم الفرصة ليقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكنه لم يتمكن.

وقال (أبو سفيان) ـ مستبشراً ـ : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر..

وقال منافق آخر: اليوم بطل السحر.

وهكذا ساد الهرج والمرج بين المسلمين والمشركين والمنافقين.

وكان في جيش الكفار (أبو جرول) راكباً على ناقة حمراء وبيده رمح طويل عليه راية سوداء يعقب المسلمين، وكلما ظفر بأحدهم قتله، وينشد:

انا أبو جرول لا براح حتى نبيح اليوم أو نباح

حتى وصل إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فضرب الإمام عليه السلام

جمله، فقتله ثم أهوى بالسيف على (أبي جرول) فقده نصفين وانشد:

قد علم القوم لدى الصباح أني لدى الهيجاء ذو نصاح

١٨
نصر بعد الهزيمة

ثبت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكانه، حتى ينكس الأمر، ولم يثبت معه إلا عشرة أشخاص: (أيمن ابن أم أيمن) وتسعة من الهاشميين، هم (أمير المؤمنين عليه السلام، وعباس بن عبد المطلب، وفضل بن العباس، وأبو سفيان بن حارث بن عبد المطلب، ونوفل بن حارث، وربيعة بن حارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة بن أبي لهب، ومعتب بن أبي لهب)..

لكن أيمناً قد قُتل، فبقي هؤلاء التسعة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي الناس: «أين أيها الناس؟ أين..؟ هلموا إلي.. أنا محمد بن عبد الله».

وحمل هو صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه على الكفار، وأخذ يقول:

«أنا النبي لا كذب.. أنا بن عبد المطلب».

وفي بعض الأحاديث: «إنه ﷺ لم يحمل على الأعداء بنفسه إلاّ في هذه الوقعة.. وقد كان الإمام أمير المؤمنين ﷺ يحصد المشركين بالسيف أمام الرسول ﷺ فينتشر المشركون أمام سيفه كالجراد المنتشر.

قال الفضل بن العباس: إن الإمام قدّ من المشركين أربعين رجلاً..

وفي الحديث: إن خمسة آلاف من الملائكة نزلوا لنصرة نبي الإسلام ﷺ في هذه الواقعة..

وقال الرسول ﷺ لعمه العباس ـ وكان جهوري الصوت ـ : «أعنّا بصوتك».

فأخذ العباس ينادي المنهزمين: «يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة.. إلى أين تفرون؟».

إن صمود الرسول ﷺ ونداءه الناس المنهزمين، وصوت العباس، وهجوم الإمام عليه السلام على المنهزمين قائلاً: انتم أحق بالقتل من هؤلاء.. وإسفار الصبح مما سبب استبانة المسلم من الكافر، ومواقع العدو من مواقع المسلمين.. كل ذلك سبّب رجوع

نخبة صالحة من المسلمين إلى الرسول ﷺ قائلين: لبيك لبيك.. وهم يتقطرون خجلاً وحياءً.

فاجتمع حول الرسول ﷺ منهم ما يقرب من مائة. ثم التف سائر المسلمين حول الرسول ﷺ التفاف السوار بالمعصم.

وحينئذ هجم المسلمون على المشركين هجمة رجل واحد، يحثهم الرسول ﷺ والإسلام من جهة، وجبراً لهزيمتهم - التي أحدثت أقوى ردة فعل فيهم - من جهة أخرى.. حتى انكشف العدو وأخذوا ينسحبون..

ثم انقلب انسحابهم إلى هزيمة منكرة تاركين وراءهم نساءهم وأموالهم وذراريهم..

وقد أوعد الرسول ﷺ: «إن من قتل قتيلاً فله سلبه»..

وطارد المسلمون المشركين إلى (أوطاس) و(نخلة).. ووقع كثير من المشركين أسرى بأيدي المسلمين..

وانتصر الرسول ﷺ على الكفار، وجمع الغنائم ليقسمها بعد شهر.

١٩
الطائف

(مالك بن عرف) رئيس الكفار في حرب (حنين) فرّ إلى (الطائف) بمن معه من هوازن وثقيف.

وقد أعدوا العدة لحصار طويل الأمد، إذا فكر الرسول ﷺ في محاصرتهم، وكان رجال ثقيف ذوي خبرة بالحرب، وقد أفادتهم (حنين) تجربة وإدراكاً، وكانت (الطائف) مدينة محصنة، ذات أسوار وحصون.

أمر الرسول ﷺ بجمع غنائم (حنين) في مكان يسمى (الجعرانة) وكانت الغنائم كثيرة على حسب ما يلي:

(ستة آلاف) من الأسارى

(أربع وعشرون ألف) من الابل.

(أربعون ألف) أوقية من الفضة.

أكثر من (أربعين ألف) من الغنم..

ثم توجه ﷺ هو بمن معه ـ قبل قسمة الغنائم ـ إلى (الطائف)

فحاصرها المسلمون، لكن الكفار رموهم بالنبال، مما أجبروهم على الابتعاد عن الحصون قدراً لا تصل إليهم النبال.

ثم.. تفكروا في كيفية الفتح، وأشار سلمان باستعمال (المنجنيق) وهي آلة ترمي الأحجار، والخرق الملطخة بالنفط.. لكن استعمالها لم تنفع في هدم سور الطائف وحصونها..

كما أشار باستعمال (الدبابة) وهي آلة خشبية تحمى بها الرجال، ثم يلصقونها بالسور والحصن، فيفلشونهما..

لكن المشركين أحبطوا هذا الهجوم، فاحموا قطعاً من الحديد بالنار، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابة، فاحترقت، وانسحب المسلمون منها لئلا يحترقوا، فرموهم بالنبال.

وهكذا طال الأمر بالمسلمين.

وأخيراً أعلن الرسول ﷺ أن كل عبد يأتيه من الطائف أعتقه، وكان القصد من ذلك تضعيف المشركين من جهة، واستعلام حال الكفار منهم من جهة أخرى.

ففر من الطائف حوالي عشرين عبداً، ولما استخبرهم الرسول ﷺ عن أحوال المشركين أنبؤوه بأن لدى المشركين المواد الكافية من الغذاء والعتاد، مما يسبب مقاومتهم للحصار الطويل.

لذا قرر الرسول ﷺ الرجوع إلى المدينة، وترك أمر استسلام (ثقيف) إلى الزمن، فقد طال أمد سفره ﷺ من المدينة حوالي شهرين.. ولم يكن في المسلمين استعداد البقاء أكثر من ذلك.

حينذاك ترك الرسول ﷺ (الطائف) نحو غنائم (حنين) يوزعها، ويرجع إلى (المدينة).

٢٠
غنائم حنين

عطف الرسول ﷺ من حصار (الجعرانة) ليقسم الغنائم، وحيث كان كثير من الذين أسلموا، كان إسلامهم صورياً أراد الرسول ﷺ أن تقوى قلوبهم بالعطاء، ولذا خصص الغنيمة ـ تقريباً ـ بهم.

فأعطى (أبا سفيان) مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة.

وأعطى (معاوية بن أبي سفيان) مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة.

وأعطى (يزيد بن أبي سفيان) مائة من الإبل وأربعين أوقية من

الفضة.

فقال (أبو سفيان): إنك لكريم، فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت.

وأعطى (صفوان بن أمية) مائة من الإبل، ثم مائة، ثم مائة.. ثم رآه الرسول ﷺ ينظر إلى شعب مملوء نعماً وشاءً فقال له: «أعجبك هذا الشعب، يا أبا وهب؟»

فقال: نعم.

فقال ﷺ: «هو لك بما فيه!»

فقال صفوان: إن الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا.. ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلاّ نبي، أشهد أنك لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

ولما رأى الأعراب أن الرسول ﷺ يجزل العطاء خافوا أن يحرموا من النصيب.. فاتبعوا الرسول ﷺ قائلين: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا..

فما زالوا يهجمون على الرسول ﷺ تطلعاً إلى العطاء والرسول ﷺ يتقهقر، حتى ألجؤوه إلى شجرة، فانتزعت عنه رداؤه، وخدش ظهره، فقال ﷺ: «أدوا علي ردائي أيها الناس

فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم، ثم لاتجدوني بخيلاً، ولا جباناً، ولا كذاباً»

ثم أخذ ﷺ وبرة من سنام بعير، فرفعها بين إصبعيه، وقال: «والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة، إلاّ الخمس، والخمس مردود عليكم».

وقد كانت بين الأسرى (شيماء) بنت مرضعة النبي ﷺ (حليمة) فأكرمها الرسول ﷺ وخلى سبيلها، وخلى سبيل سائر الأسرى لأجلها، بعد استجازته ﷺ للمسلمين، وإجازتهم، إلاّ نفرين فقط.

✿ ✿ ✿

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

الفهرس

المقدمة ٣
بنو قريظة ٤
بنو لحيان ٦
ذو قرد ٧
الحديبية ٨
والصلح خير ١٠
خيبر ١٣
قلعة قموص ١٦
قدوم جعفر عليه السلام ١٨
فدك الزهراء عليها السلام ١٩
وادي القرى ٢١
تيماء ٢١
عمرة القضاء ٢٢
نتائج الهدنة ٢٤
فتح مكة ٢٦

إيفاد أبي سفيان ٢٨
عباس عم النبي ﷺ ٣٠
العفو عن أبي سفيان ٣٣
تطهير الكعبة من الأوثان ٣٥
غزوة حنين ٣٨
خطة المشركين ٤٠
حاكم مكة الجديد ٤٢
نصر بعد الهزيمة ٤٤
الطائف ٤٧
غنائم حنين ٤٩
الفهرس ٥٢